النوع الرابع والأربعون

في مقدَّمه ومؤخَّره

وهو قسمان:

الأول: ما أشكل معناه بحسب الظاهر، فلمَّا عرف أنه من باب التقديم والتأخير، اتَّضح. وهو جدير أن يُفردَ بالتصنيف، وقد تعرَّض السلف لذلك في آيات:

فأخرج ابن أبي حاتم(١) عن قَتادة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا﴾ [التوبة: ٨٥]. قال: هذا من تقاديم الكلام، يقول: لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة.

وأخرج(٢) عنه أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [طه: ١٢٩]. قال: هذا من مقاديم الكلام، يقول: لولا كلمة وأجلٌ مسمى لكان لزاماً.

وأخرج(٣) عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمًا﴾ [الكهف: ١، ٢]. قال: هذا من التقديم والتأخير: أنزل على عبده الكتاب قيّماً ولم يجعل له عوجاً.

وأخرج(٤) عن قتادة في قوله تعالى: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]. قال: هذا من المقدّم والمؤخّر؛ أي: رافعك إليّ ومتوفيك.

وأخرج(٥) عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦]. قال: هذا من التقديم والتأخير، يقول: لهم يوم الحساب عذاب شديد بما نسوا.

وأخرج ابن جرير(٦) عن ابن زيد في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣]. قال: هذه الآية مقدمة ومؤخرة، إنما هي: أذاعوا به إلّا قليلاً منهم، ولولا فضل الله عليكم ورحمته لم ينجُ قليل ولا كثير.

وأخرج عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣]. قال: إنهم إذا رأوا الله، فقد رأوه، إنما قالوا جهرة: أرنا الله. قال: هو مقدَّم ومؤخَّر. قال ابن جرير: يعني أن سؤالهم كان جهرة.

ومن ذلك قوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧٢]. قال البَغويّ: هذه أول القصة، وإن كان مؤخراً في التلاوة.

---

(١) «تفسير ابن أبي حاتم» ٦/ ١٨٥٨ (١٠٢٠٨) التوبة: ٨٥ وفيه: مقاديم الكلام.

(٢) ابن أبي حاتم ٧/ ٢٤٤١ (١٣٥٨١).

(٣) ابن أبي حاتم ٧/ ٢٣٤٤ (١٢٦٩٤) الكهف: ١.

(٤) ابن أبي حاتم ٢/ ٦٦١ (٣٥٨٣) آل عمران: ٥٥.

(٥) ابن أبي حاتم ١٠/ ٣٢٤٠.

(٦) في «تفسيره» ٥/ ١١٦ النساء: ٨٣.

وقال الواحديّ: كان الاختلاف في القاتل قبل ذبح البقرة، وإنما أُخِّر في الكلام؛ لأنه تعالى لمّا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ الآية [البقرة: ٦٧]، علم المخاطبون أنَّ البقرة لا تُذبح إلّا للدلالة على قاتلٍ خفيت عينه عليهم، فلما استقرَّ علم هذا في نفوسهم أتبع بقوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧٢]. فسألتم موسى، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧].

ومنه: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان: ٤٣]. والأصل هواه إلهه؛ لأن من اتخذ إلهه هواه غير مذموم، فقدّم المفعول الثاني للعناية به.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلى: ٤، ٥]، على تفسير ﴿أحوى﴾ بالأخضر. وجعله نعتاً للمرعى، أي: أخرجه أحوى، ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً﴾ وأُخِّر رعايةً للفاصلة.

وقوله: ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧]، والأصل سود غرابيب، لأنّ الغِرْبِيبَ الشديدُ السّوادِ.

وقوله: ﴿فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا . . .﴾ [هود: ٧١]، أي: فبشرناها فضحكت.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤]، أي: لَهَمَّ بها، وعلى هذا فالهمُّ منفيٌّ عنه.

الثاني: ما ليس كذلك، وقد ألّف فيه العلامة شمس الدين بن الصائغ كتابه «**المقدّمة في سر الألفاظ المقدّمة**». قال فيه: الحكمة الشائعة الذّائعة في ذلك الاهتمام، كما قال سيبويه في «**كتابه**»: كأنّهم يقدّمون الذي بيانه أهمّ وهُمْ ببيانه أعنى.

قال: هذه الحكمة إجمالية، وأما تفاصيل أسباب التقديم وأسراره، فقد ظهر لي منها في الكتاب العزيز عشرة أنواع:

الأول: التبرُّك، كتقديم اسم الله تعالى في الأُمور ذات الشأن، ومنه قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ الآية [الأنفال: ٤١].

الثاني: التعظيم، كقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٦٩]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ﴾ [الأحزاب: ٥٦]. ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢].

الثالث: التشريف، كتقديم الذكر على الأُنثى، نحو: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ . . .﴾ الآية [الأحزاب: ٣٥]، والحرّ في قوله: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ [البقرة: ١٧٨]، والحيّ في قوله: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ . . .﴾ الآية [الأنعام: ٩٥]، ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ [فاطر: ٢٢]، والخيل في قوله: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾ [النحل: ٨]، والسمع في قوله: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [البقرة: ٧]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقوله: ﴿إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾ [الأنعام: ٤٦]؛ حكى ابن عطية عن النّقاش: أنه استدلّ بها على تفضيل السمع على البصر، ولذا وقع في وصفه تعالى: ﴿سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٦١] بتقديم السمع.

ومن ذلك: تقديمه ﷺ على نوح ومن معه في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ الآية [الأحزاب: ٧].

وتقديم الرسول في قوله: ﴿مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢].

وتقديم المهاجرين في قوله: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وتقديم الإنس على الجنّ حيث ذُكرا في القرآن.

وتقديم النبيّين، ثمَّ الصِّدِّيقين، ثم الشهداء، ثمَّ الصالحين في آية النساء [٦٩].

وتقديم إسماعيل على إسحاق، لأنه أشرف؛ بكون النبيّ ﷺ من ولده، وأسنُّ.

وتقديم موسى على هارون لاصطفائه بالكلام، وقدم هارون عليه في سورة طه رعايةً للفاصلة.

وتقديم جبريل على ميكائيل في آية البقرة، لأنه أفضل [٩٨].

وتقديم العاقل على غيره في قوله: ﴿مَتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٣]، ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَـٰٓفَّـٰتٍ﴾ [النور: ٤١].

وأما تقديم الأنعام في قوله: ﴿تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ﴾ [السجدة: ٢٧]، فلأنه تقدَّم ذكر الزرع، فناسب تقديم الأنعام، بخلاف آية «عبس»؛ فإنَّه تقدّم فيها: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ [عبس: ٢٤]، فناسب تقديم ﴿مَّتَـٰعًا لَّكُمْ﴾.

وتقديم المؤمنين على الكفار في كلّ موضع.

وأصحاب اليمين على أصحاب الشمال.

والسماء على الأرض، والشمس على القمر حيث وقع، إلّا في قوله: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٥، ١٦]؛ فقيل: لمراعاة الفاصلة، وقيل: لأنَّ انتفاع أهل السموات العائد عليهنَّ الضمير به أكثر.

وقال ابن الأنباري: يقال: إنَّ القمر وجْهُه يضيء لأهل السموات وظهره لأهل الأرض، ولهذا قال تعالى: ﴿فِيهِنَّ﴾. لمَّا كان أكثر نوره يضيء إلى أهل السماء.

ومنه: تقديم الغيب على الشهادة في قوله: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ [الزمر: ٤٦]؛ لأن علمه أشرف، وأما: ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧] فأُخِّر فيه رعايةً للفاصلة.

الرابع: المناسبة، وهي إمَّا مناسبة المتقدّم لسياق الكلام، كقوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: ٦]؛ فإن الجمال بالجمال، وإن كان ثابتاً حالتي السَّراح والإراحة، إلّا أنها حالة إراحتها ـ وهو مجيئها من المرعى آخر النهار ـ يكون الجمَال بها أفخر؛ إذ هي فيه بِطَان، وحالةُ سراحها للمرعى أول النهار يكون الجمال بها دون الأول، إذ هي فيه خِماص. ونظيره قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟﴾ [الفرقان: ٦٧]. قدَّم نفي الإسراف؛ لأن السرف في الإنفاق.

وقوله: ﴿يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الروم: ٢٤]؛ لأن الصواعق تقع مع أول برقة، ولا يحصل المطر إلَّا بعد توالي البرقات.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١]. قدَّمها على الابن لمَّا كان السياق في ذكرها في قوله: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ الأنبياء: ٩١]، ولذلك قدَّم الابن في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠]، وحسَّنه تقدّم موسى في الآية قبله.

ومنه: قوله: ﴿وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩]؛ قدَّم الحكم وإن كان العلم سابقاً عليه؛ لأن السياق فيه، لقوله في أول الآية: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ [الأنبياء: ٧٨].

وإما مناسبة لفظ هو من التقدم أو التأخر، كقوله: ﴿الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣]، ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ [الحجر: ٢٤]، ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٧]، ﴿بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣]، ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٣٩، ٤٠]، ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾ [الروم: ٤]، ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ﴾، [القصص: ٧٠]، وأما قوله: ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ﴾ [النجم: ٢٥]، فلمراعاة الفاصلة، وكذا قوله: ﴿جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات: ٣٨].

الخامس: الحثُّ عليه والحضُّ على القيام به؛ حذراً من التهاون به، كتقديم الوصية على الدَّين في قوله: ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء: ١١]، مع أن الدَّين مقدَّم عليها شرعاً[1].

السادس: السبق، وهو إمَّا في الزمان باعتبار الإيجاد بتقديم الليل على النهار، والظلمات على النور، وآدم على نوح، ونوح على إبراهيم، وإبراهيم على موسى، وهو على عيسى، وداود على سليمان، والملائكة على البشر في قوله: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]. وعادٍ على ثمود، والأزواج على الذريَّة في قوله: ﴿قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ﴾ [الأحزاب: ٥٩]. والسِّنة على النوم في قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

أو باعتبار الإنزال، كقوله: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٩]، ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٣، ٤].

أو باعتبار الوجوب والتكليف، نحو: ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ [الحج: ٧٧]، ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]، ولهذا قال ﷺ: «**نبدأُ بما بدأ الله به**» [مسلم: ٢٩٥٠].

أو بالذَّات، نحو: ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء: ٣] .﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]. وكذا جميع الأعداد: كل مرتبة هي متقدمة على ما فوقها بالذات. وأما قوله: ﴿أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ﴾ [سبأ: ٤٦] فللحثّ على الجماعة والاجتماع على الخير.

---

(١) أخرج الترمذي عن علي: أن النبي ﷺ قضى بالدَّين قبل الوصية، وأنتم تُقرُّون الوصيةَ قبل الدين. وقد حسَّنه الشيخ الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢١٢٢). قال أبو عيسى: والعملُ على هذا عند عامة أهل العلم: أنه يُبدأ بالدَّين قبل الوصية.

السابع: السببية، كتقديم العزيز على الحكيم؛ لأنه عزّ فحكَم. والعليم عليه؛ لأن الإحكام والإتقان ناشئ عن العلم. وأما تقديم الحكيم عليه في سورة الأنعام، فلأنه مقام تشريع الأحكام(١).

ومنه: تقديم العبادة على الاستعانة في سورة الفاتحة؛ لأنها سبب حصول الإعانة، وكذا قوله: ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]؛ لأن التوبة سبب الطهارة. ﴿لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الجاثية: ٧]؛ لأن الإفك سبب الإثم. ﴿يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]؛ لأن البصر داعية إلى الفرج.

الثامن: الكثرة، كقوله: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]، لأنَّ الكفار أكثر. ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ...﴾ الآية [فاطر: ٣٢]، قدَّم الظالم لكثرته، ثم المقتصد، ثم السابق. ولهذا قدَّم السارق على السارقة؛ لأن السرقة في الذكور أكثر. والزانية على الزاني، لأن الزنا فيهنَّ أكثر.

ومنه تقديم الرحمة على العذاب حيث وقع في القرآن غالباً، ولهذا وَرَدَ: «**إنَّ رحمتي غلبت غضبي**» [البخاري: ٣١٩٤، ومسلم: ٦٩٦٩، وأحمد: ٧٥٠٠].

وقوله: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤]. قال ابن الحاجب في «**أماليه**»(٢): إنَّما قُدِّمَ الأزْواجُ؛ لأن المقصود الإخبارُ أنَّ فيهم أعداءً، ووقوعُ ذلك في الأزواج أكثرُ منه في الأولاد، وكان أقعد في المعنى المراد فقُدِّم. ولذلك قُدِّمت الأموال في قوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، لأنّ الأموال لا تكاد تفارقها الفتنة. ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦، ٧]، وليست الأولادُ في استلزام الفتنة مثلَها، فكان تقديمُها أوْلَى. اهـ.

التاسع: الترقي من الأدنى إلى الأعلى، كقوله: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ...﴾ الآية [الأعراف: ١٩٥]، بدأ بالأدنى لغرض الترقِّي؛ لأن اليدَ أشرفُ من الرِّجل، والعينَ أشرفُ من اليد، والسمعَ أشرفُ من البصر.

ومن هذا النوع تأخير الأبلغ، وقد خُرِّج عليه تقديمُ الرحمن على الرحيم، والرؤوف على الرحيم، والرسول على النبيّ، في قوله: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥١]، وذُكر لذلك نكتٌ أشهرُها: مراعاة الفاصلة.

العاشر: التدلِّي من الأعلى إلى الأدنى، وخرِّج عليه: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ [الكهف: ٤٩]، ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢].

هذا ما ذكره ابن الصائغ، وزاد غيره أسباباً أُخَر:

منها: كونه أَدَلّ على القدرة وأعجب، كقوله: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ...﴾ الآية [النور: ٤٥]، وقوله: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]. قال الزمخشري(٣): قدَّم

---

(١) سورة الأنعام، الآيات: ٨٣ و ١٢٨ و ١٣٩ .
(٢) «أمالي ابن الحاجب» ١/ ٢٥٩ إملاء (١٠٩).
(٣) في «تفسيره» ٤/ ١٥٨ الأنبياء: ٧٩.

الجبال على الطَّير؛ لأن تسخيرها له وتسبيحها أعجبُ وأدلُّ على القدرة، وأدخل في الإعجاز؛ لأنها جماد، والطيرُ حيوان ناطق.

ومنها: رعاية الفواصل، وسيأُتي لذلك أَمثلة كثيرة.

ومنها: إفادة الحصر للاختصاص، وسيأتي في النوع الخامس والخمسين.

تنبيه: قد يُقَدّم لفظ في موضع ويؤخَّر في آخر، ونكتة ذلك:

إمَّا لكون السِّياق في كلّ موضع يقتضي ما وقع فيه، كما تقدمت الإشارة إليه.

وإما لقصد البداءة والختم به للاعتناء بشأنه، كما في قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ . . .﴾ الآيات [آل عمران: ١٠٦].

وإمَّا لقصد التَّفنُّن في الفصاحة وإخراج الكلام على عدة أساليب، كما في قوله: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨]، وقوله: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ [الأعراف: ١٦١]، وقوله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال في الأنعام: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ٩١].